حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يناير – مارس 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)

تمظهرات فلسفة موت الانسان في السينما العالمية

م. محمد عبد الحميد ضيدان*

جامعة كربلاء – كلية العلوم السياحية – قسم السياحة الدينية
Mb7700322@gmail.com

م. عباس علي عجيل*

جامعة بغداد –كلية الفنون الجميلة–قسم السينما والتلفزيون
Orukali8@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/19
تاريخ قبول البحث: 2022/1/18
تاريخ النشر: 2023/3/31

المستخلص:

ان من اهم مميزات الفن السينمائي هو القدرة على تناول موضوعات مختلفة في مجالات معرفية واجتماعية وفلسفية بسبب ما تمتلكه من عناصر وادوات متنوعة من جهة والمرونة الكبيرة التي يمكن من خلالها استثمار تلك العناصر من اجل ايصال ما يمكن ايصاله الى المتلقي، ومن تلك الموضوعات التي بدأت تأخذ حيزا كبيرا في الانتاج السينمائي تلك الافلام التي تطرح افكار فلسفية وخصوصا ما يخص الانسان والفلسفات التي حاولت دراسته بشكل عميق وطرح فكرة الموت بمستوياتها المادية والمعنوية الا ان البحث يحاول ان يسلط الضوء على فلسفات موت الانسان ببعده المعنوي الذي تنامت بشكل واضح في منتصف القرن العشرين مستندة الى ارث فكري فلسفي استثمرته السينما لتقدمه بأشكال ورؤى مختلفة. تم تقسيم البحث الى ثلاثة فصول،تناول الفصل الاول الاطار المنهجي، اما الفصل الثاني (الاطار النظري) فقد تناول ثلاثة مباحث وضم الفصل الثالث النتائج والاستنتاجات والتوصيات واخيرا قائمة بالمصادر التي اعتمدها الباحثان.

الكلمات الدالة: الاسكاتولوجيا، التمثلات، التقنية الرقمية

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

1.الفصل الاول – الاطار المنهجي

1. 1. مشكلة البحث:-

يعد الفن السينمائي واحد من اهم الفنون ان لم يكن اهمها القادر على ان يجسد اي فكر يطرأ في الميادين المعرفية كافة على اختلاف ميادينها واتجاهاتها، ولعل الكثير من الافكار قد يصعب تناولها في بعض الفنون لمحدودية عناصرها الاشتغالية ووسائلها التعبيرية الا ان السينما تبقى هي في طليعة الفنون التي يمكن لها ان تمثل وتعبر عن تلك الافكار مهما كان شكلها ومدى اتساع افكارها.

فكرة موت الانسان من الافكار التي تجد لها صدى في مجال الفلسفة بعد ان اخذت مداها في الدين والاسطورة ثم في العلم وهكذا بدت تأخذ ابعادها في كل مجال معرفي لأنها ترتبط بالإنسان الذي يعد المحور الاساس في هذا الكون بالرغم من بعض الطروحات التي ارادت تهميشه،والسينما باعتبارها اصبحت اكثر قربا وتأثيرا في المجتمعات فقد انعكست كل مديات التنظير في مجال الانسان وقلقه وموته وانبعاثه فيها، واصبح الفن السينمائي مصدر الهام لمناقشة فلسفة افول الانسان في مختلف جوانبه، وبات تأثير التيارات الفكرية التي طرحت ذلك المفهوم واضحا في ثيمة العمل السينمائي وشكله. ومن هنا تمت صياغة مشكلة البحث عبر التساؤل التالي: **ما تمثلات فلسفة موت الانسان في السينما العالمية؟**

1.2. هدف البحث:-

يهدف البحث الى تحقيق الآتي:-

1-معرفة الاتجاهات الفلسفية لفلسفة موت الانسان.

2-الكشف عن تمثلات تلك الفلسفة في السينما العالمية.

1.3. اهمية البحث: يتناول البحث موضوعة مهمة وهي موضوعة (فلسفة موت الانسان في السينما العالمية) وهذا يعني ان السينما لم تعد مجالا تعبيريا وجماليا فحسب وانما مجال لطرح فكر فلسفي يمكن من خلاله ان تناقش قضايا مهمة قادرة على تغيير مفاهيم وافكار مؤسساتية ومجتمعية وفردية، كما ان هذا البحث قد ينفع الدارسين والمختصين والمهتمين في المجال السينمائي.

1.4. تحديد المصطلحات:

التمثل:

أ-التمثل لغة: "مثل الشيء بالشيء: سواه وشبهه به وجعله على مثاله، ومثل الشيء لفلان صوره له بالكتابة او بغيرهـــا حتى كأنه ينظر اليه"(صليبا،2010،ص341)

ب–التمثل اصطلاحاً: جاء في معجم المصطلحات السينمائية ان التمثل " يشكل دائماً نمطاً من أنماط الترميز وهو على العموم عبارة عن (قائم مقام) سواء كان رسماً او صورة فوتغرافية او فلمية" (تيريز،2007،ص180) والباحث يتبنى هذا التعريف الاصطلاحي كتعريف اجرائي.

الموت:

أ– **الموت لغةً:** إن الموت من الناحية اللغوية كان يعني: السكون، وكل ما سكن فقد مات، "والموت ضد الحياة، مات يموت، ويمات فهو ميت، والموات بالضم: الموت، والموت بالفتح: ما لا روح فيه، والموت بالفتح ايضاً: الارض التي لا مالك لها ولا ينتفع بها احد "(1986،ص159)

ب–**الموت اصطلاحاً:** على معنيين الموت المادي: مفارقة الروح للجسد والموت المعنوي هو فقدان الانسان لجانب من جوانبه الانسانية.

منهج البحث

بغية تحقيق أهداف البحث والوصول إلى حل لمشكلته، فقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي لعينة من الافلام العالمية كون هذا المنهج أكثر ملاءمة لطبيعة البحث.

2. الفصل الثاني – الاطار النظري

2.1.المبحث الاول: المرجعيات الفكرية لفلسفة موت الانسان

لم تشغل الانسان منذ ان وجد في هذا الكون فكرة كفكرة الموت لأنها حقيقة لا مهرب منها. كما انها قضية في حقيقتها مخيفة تدعو الى القلق الانساني ويستشعر منها الانسان بالخوف حينما تجابهه حقيقتها لأنها بمثابة الجسر الذي ينتقل فيها الانسان الى المجهول الذي حاول الانسان بكل طاقته ان يعرف كنهه وعوالمه ، ففي البدء "ومع أولى الممارسات الواعية التي يوجهها العقل بدأ الفكر الإنساني يتشبث بإصرار في محاولة الخروج من دوامة العجز والارتباك تجاه الموت مغيراً وسائله في كل مرحلة من مراحل تطوره بدءاً بالسحر مروراً بالأسطورة والدين وانتهاء بالعلم ، إلا انه كان يقف في كل تلك المراحل عاجزاً أمام حقيقة الموت القاسية المؤلمة. واستمرت تلك المحاولات دون انقطاع بدافع مما جُبلت عليه طبيعة ردود فعله إزاء كل ما يصادفه ويكتنف حياته من الحالات والظواهر الغامضة التي يأتي الموت أولها"(حنون،1986،ص9).

جاءت قصة الطوفان في ملحمة جلجامش والتي تعد من اهم ما بقي من تراث انساني وفكري وادبي لحضارة وادي الرافدين وهي تصور البطل كلكامش وهو يقوم برحلة شاقة في البحث عن الخلود وعدم الانصياع لفكرة الموت " لقد عبرت ملحمة كلكامش عن رأي العراقي القديم في العالم والحياة، فهو يؤمن بأن الانسان انما خلق من اجل غرض واحد فقط هو عبادة الآلهة وخدمتها وحينما يتوفر له وقت للتأمل يجد ان الحياة عبث وان الموت قادم لا محالة وهو لا يعرف المصير الذي ينتظره ومن ثم ينتابه الشك والالتباس حول حقيقة الحياة

وحقيقة الموت"(النشار،1988,62)، ولم تكن تلك الافكار حكرا على سكان بلاد وادي الرافدين بل ان فكرة البقاء والخلود ومواجهة الموت احتلت مكاناً بارزا في الفكر الانساني فعند المصريين فلا يكاد يوجد مصدر يتحدث عن عقائدهم الا وفيه فكرة مواجهة الموت بالبقاء والخلود بغض النظر عن الخلود اكان جسديا ام روحياً " ان اهم ما يميز العقيدة المصرية توكيدهم فكرة الخلود"(ديورانت،ص162)، وفكرة الموت بالنسبة للمصريين القدماء كانت في صلب اعتقاداتهم ذلك لان اهتمامهم بالآخرة لا تقل اهمية عن حياتهم الدنيا بل ان حياتهم الدنيا كانت مقدمة لحياة اخرى طويلة وباقية ومستمرة وحقيقية هذا التماهي بين الموت والحياة عده المصريون ليس انتهاء للحياة بل هو اكتمال و انتقال من حياة مؤقتة الى حياة اكثر بقاء او هو اشبه بولادة اخرى وهذا ما جعلهم يدفنون موتاهم على هيئة القرفصاء والتي تشبه هيئة الجنين في بطن امه، اما اساطير اليونان فأن نصوص الاوديسا تذكر ان نهاية الانسان هو الموت اذ ينتقل الى العالم الآخر والذي ينال فيه الجزاء بما قدم من اعمال في الحياة الدنيا، فاذا كانت اعماله صالحة فيذهب الى الفردوس الاورفي وهو مكان جميل في العالم السفلي مليء بالأشجار والاوراد حيث تستريح فيه النفوس وتهدأ، في حين ترى الهندوسية –على اعتبار ان شعوب تلك المنطقة ميالون الى الاعتقاد بحياة الارواح وان الجسم يبلى– ان الجسم هو من المظاهر الخادعة للحياة وهو مخلوق لهذه الدنيا وينتهي بنهايتها اما الروح فباقية وهي تنتقل من جسد الى اخر وهذا ما يعرف عند الديانة الهندوسية بفكرة (التناسخ) وهي عماد عقيدة الهندوس، اما الاديان على اختلاف مسمياتها واتجاهاتها سواء الارضية منه او السماوية فترى ان الانسان لا بد له من الموت، وانه امر حتمي لا يعطى للانسان فيه الخيار، فالتفكير الديني المسيحي مثلا يعتقد بما اسموه بـــ(الاسكاتولوجيا) وتناقش تلك الاسكاتولوجيا النهاية الانسانية، وتعنى بمصير الانسان على المستوى الشخصي الفردي وهو الموت، وترى تلك الديانة ان الموت قسمان: موت جسدي وهو مفارقة الحياة، وموت روحي وهو عبارة عن انفصال النفس عن الله. وغير بعيد في الفلسفة الاسلامية فإنها تنظر الى الموت على انه حقيقة واقعة لا ينتابها الشك وان الايمان بالموت هو جزء من مقتضيات الايمان بالله وما جاء به الانبياء وقد جزم القران حقيقة الموت في عدة مواضع **(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)** (آل عمران،185) اما على مستوى الموت المعنوي للإنسان ففلسفته كانت ترى ان الانسان حينما يعرض عما امر الله به فقد يظل عن الطريق وبالتالي يسلك طريقا اخر هو غير طريق الانسان السوي (إِنْ **هُمْ** إِلَّا **كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ** أَضَلُّ سَبِيلًا)(الفرقان،44).

الموت في الميدان الفلسفي الحديث

بعد التحول الكبير الذي شهده الغرب على المستوى الفكري وبعد رسوخ مبدا الحداثة وتغير الموقف تجاه الدين وسيطرة فكرة العقل وسيادتها على البعد الميتافيزيقي الذي كان له سطوة في حياة الانسان، وبعد تطور تقني واضح وظهور نظريات كان لها اثر مدوي في المجالات المعرفية المختلفة برزت مجموعة من الاتجاهات التي نادت بموت الانسان او نهايته على المستوى المعنوي لا المادي، لقد ساهم كل من العدميون والبنيويون ومدرسة التحليل النفسي في

طرح تلك الفلسفة، وجاءت كل الفلسفات والاتجاهات المادية لتؤكدها فقد ذهبت الفلسفات والانظمة المعاصرة كالليبرالية الجديدة لتنكر أي طبيعة ثابتة للإنسان اذ يرى هايك ان الانسان لا يملك ما يشاع عنه بالنزعة الانسانية وانه يمتلك قيم ثابتة بل هو حالة من الشكل المستمر والدائم التغيير تبعا لمنطق الزمان والمكان باستثناء القوام الفيزيائي والبيولوجي وهذ الرأي مستند على ما تركته بعض النظريات المهمة كـــ(نظرية دارون) " والتي تنص على ان جميع الكائنات الحية نشأت تدريجيا من خلية واحدة وكان للمصادفة وتوافر بعض العوامل الفيزيائية من هواء وحرارة ورطوبة سببا في تكاثر تلك الخلايا لتتوالد عنها سلسلة من المخلوقات من نباتات وحيوانات وبشر، وكان لتلك النظرية اثرها الكبير على باقي العلوم الطبيعية والانسانية كما لاقت صدى واسعا وتأثيرا لافت للنظر في الفلسفات الحديثة بسبب التعرض للنزعة الانسانية واستئصالها القصد والغاية في الكون " فقد نزعت الكرامة الانسانية عن الانسان وهي نفي النفحة الالهية عن خلقة ونشأته وبذلك انهارت جميع الضوابط والتقاليد والاصول التي كانت اوروبا تعيش عليها حقباً طويلة من الزمن بغض النظر عن صواب او خطأ تلك التقاليد والضوابط"(الغامدي،2003،ص1548) بالإضافة الى ما طرحته نظرية التحليل النفسي من خلال فرويد في ان مساحة اللاشعور هي اكثر تحكما في الانسان من مساحة شعوره فيما رأى لاكان الذي طبق نظرية التحليل النفسي في ضوء المنهج البنيوي " اي دراسة ظاهرة اللاشعور كما لو كانت تماثل بنيويا الظاهرة اللغوية او هي ذاتها، وكان يبحث في طريقة لإلغاء شيء اسمه الذات الانسانية فهو لا يرى وجود شيء اسمه طبيعة انسانية اصيلة فالإنسان مجرد تعاقب لخطابات وانه شكل بلا مضمون" (الدواي،1992،ص165) في حين يرى فوكو "ان الانسان ابتكار حديث العهد تحقق ظهوره على اثر تحول مفاجئ للأجهزة المعرفية في القرن التاسع عشر وانه ليس اكثر من مفهوم من المفاهيم المؤقتة والعائمة او هو قناع ثقافي كان صالحا للاستعمال فقط في الفترة التي استدعاه فيه النسق المعرفي اما الان فقد حان وقت تمزقه وتلاشي قسماته ومعالمه لكي يعود الانسان كما كان من قبل اي الى مجرد كائن من الكائنات" (الدواي،1992، ص167).

2.2. المبحث الثاني: تجليات فلسفة موت الانسان في السينما

وبالرغم من ان اغلب الآراء الفلسفية التي طرحت فكرة موت الانسان جاءت بفترة الستينيات على يد فوكو وهايدجر وشتراوس والبنيويين الا ان السينما استطاعت ان تقدم فحوى تلك الآراء وان تستشرف تداعيات المآل الاخير الذي يؤدي بالإنسان الى الافول افكار تدعو الى نهاية الانسان بصورته التي رسمها التاريخ المعرفي له وهي انعكاسات واضحة لمتبنيات فرويد ونيتشه ودارون وغيرهم، لذا يمكن القول ان الافلام التجريبية منذ بداية العشرينيات يمكن ان تكون لا حداثية مبكرة لفكرة الاستلاب والتشظي التي عايشها انسان تلك الفترة فترة انهيار القيم والعادات والتسلط البرجوازي والحروب ومخلفات التقنية وغيرها، كتب آموس فوجيل " الافلام التجريبية هي انعكاس امين لمجتمع في مرحلة انتقالية تهدده الازمات والحروب واستلاب الفرد ومعضلات التطبيع واشاعة الآلية والافلام التجريبية في كل هذه الامور سواء كان ذلك ماثلاً في وعي فنان ام لا انما تعبر عن توترات اصحابها وشعورهم بالتوعك والمضض في قلب المجتمع الراهن" (ميتري،1997،ص314).

ولم يكن الفن السينمائي الوحيد في التأثر بتلك التيارات والاتجاهات الفلسفية والفكرية بل ان الفن والادب عموما تأثر بشكل او بآخر بهذه الافكار والمتغيرات ولعله تلك الافكار كانت من نتاج ابداع الفن والادب ثم الى الفلسفة والثقافة، وقد كان نصيب فلسفة الانسان الحض الاوفر في ذلك. فموت الانسان التي تم تناولها في حقل الادب ظهرت كثقافة واضحة معبرة عن زمن اصطبغت فيه الحياة بنظرة تشاؤمية قلقة، لم يكن الموت بمعنى مفارقة الروح للجسد هو الهاجس المأساوي الذي يقلق الانسان،بل هو موت الذات نتيجة الاغتراب الانساني، انسان يعاني الوحدة والضياع والانفصال والعبث واللاجدوى " ان هايدجر يميز بين الافول –الموت المادي–والاحتضار–الموت الانطولوجي– الذي يتضمن انهياراً في عالم الوجود " (ليفينجستون، بلاتينيا، 2013،ص900) ولم تكن السينما بعيدة عن تلك الاجواء التي قدمت الانسان وهذا الموت المعنوي الذي انتابه، بل كانت السينما افضل من جسد هذه الافكار بسبب قدرتها على النفوذ الى النفس الانسانية، وهذا ما يراه كانودو "ان السينما هي افضل عملية جس للقلق الخالد الذي نحمله في دواخلنا"(آجيل، 2005،ص25) وهذا ما تمثل في الافلام التي اعتمدت الطابع السريالي او الدادائي بل لعل الكثير من الافلام التجريبية في بدايات السينما اعتمدت مبدأ طرح الانسان اللاواعي حيث سيطرت الاحلام والعبث واللامعنى " طالبت السريالية بالعودة الى اللاعقلانية والى سحر الاحلام كوسيلة الهام وتحرر ذاتي ومن ثم اجتماعي " (فوغل،1995،ص20) ففي فلم كلب اندلسي انتاج 1929اخراج بونويل وسلفادور دالي تسيطر الاحلام على مشاهد الفلم ويبدو الانسان بل عقل بلا هدف بلا غاية،ويشير بونويل الى هذا الفلم على انه "متحرراً من العقل والاخلاقية التقليدية "(فوغل،1995،ص22) وكأن الفلم هو مجموعة من هذيانات وكوابيس، وهو يتطابق فيما اشار اليه فرويد في افكاره حول الاحلام وهي شديدة الارتباط بما تقدمه السينما وبالخصوص الفلم السريالي حيث ان عمل الاحلام يترجم افكارنا الى صور ويجعلها في بناء سردي، وهذا البناء الذي هو الحلم لعله هو نسخة من افكارنا اللاواعية التي توارثها الانسان خلال حياته السابقة "ليست من المصادفة ان التحليل النفسي والسينما ولدا في عام واحد ففي عام 1895 اقام اوجست ولومير اول عرض جماهيري،وهو العام نفسه الذي نشر فيه كتاب دراسات عن الهستيريا من تأليف فرويد وبروبر وهو الكتاب التأسيسي لنظرية التحليل النفسي واكتشاف اللاوعي" (جرانت،2014،ص961) وهذا يعني بداية الحد من المعرفة الانسانية.لذا ظهر الانسان في الفلم السريالي "لا انسان مفكر فحسب بل انه نائم كذلك (Nadeau,1965,p148) كما ان هناك تأثرا واضحا للسينما لنظريات فرويد في الغريزة الجنسية والتي احالت الانسان الى مفهوم آخر فقد شكل موضوع الدافع الغريزي مفصل مهم من مفاصل اشاعة فكرة افول الانسان سواء كانت تلك الغريزة تخص الجنس او غريزة المال والسلطة والجاه لذا شاعت الافلام التي قدمت الجنس بشكل فاضح سواء من ناحية الكم المشهدي بحيث ان السمة الغالبة من الافلام تحتوي على المشاهد الجنسية وعلى ما يبدو ان هذه الميزة تتفق الى حد ما بما يوائم التقبل والميول لدى عامة المشاهدين الى الاقبال على الافلام التي تحتوي على هكذا مشاهد، الا ان الامر فيما يخص البحث غير معني بذلك فالجنس فيما يخص علاقته بنهاية الانسان ينحو

الى جانب اخر، فالسينما قدمت الانسان ذو البعد الواحد الذي يرتبط اصل دوافعه وميوله بالغريزة الجنسية فبدأ بالأفلام التي ظهرت في عشرينيات القرن ومرورا بأفلام الثلاثينيات كأفلام سيسيل دي ميل التي كانت تحتوي على مشاهد العنف والجنس (علامة الصليب –كليوباترا) وهكذا في الافلام التي اعقبت تلك الفترة كأفلام بازوليني، ففي فلم (سالو) المأخوذ من رواية للماركيز دي ساد وهو الروائي المهم عند فرويد تكثر المشاهد الجنسية الفاضحة والمقززة،ويتحدث الفلم عن اربعة من رجال السلطة يقبلون على زواج فتيات اربعة،وتقوم تلك الفتيات بمساعدتهم باعتقال 18 مراهق من الفتيان والفتيات ويتم اخضاعهم للعذاب الجسدي والنفسي. ولم تبتعد السينما الامريكية عن هذه الاجواء بل اتخذت منحى واضح في ترسيخ فكرة افول الانسان "لقد اخذت سينما الاستوديوهات تبحث في تعقيدات النفس العاطفية ووظفت فرويد لصالحها ويتم تناول الرغبة الجنسية بوضوح في كوارث العواطف المكبوتة وفي انفجار الجسد والجنس،لقد فتحت (بريجيت باردو) لهذا الجنس المتحرر قبل ان تمد مارلين امبراطوريتها وقبل ان تسمح سينما الهامش والثقافة المضادة وهي تطور نفسها في السينما السرية بكل اشكال الجرأة" (ليبوفيتسكي، سيرو،2012،ص24) وفي فلم العار يقدم المخرج الانسان ذو النزعة الجنسية الذي لا يتوارى في استخدام الجنس في كل مكان في شقته وفي الحمام وفي العمل، فهو لا تفكير لديه سوى في الجنس، ويقدم الفلم ذلك البعد الغرائزي الطاغي على مجتمع بأكمله حيث يشاهد براندون في مدينة نيويورك اناس يمارسون الجنس امام شبابيك الشقق المطلة على الشارع بشكل علني ويسمع اخته وهي تمارس الجنس مع مدير الشركة التي يعمل فيها، انه تصوير واضح لموت القيم والفطرة الانسانية وانعكاس جلي للتفسخ والانحلال المجتمعي المستشري، لذا تعرضت الفتاة في فلم (دوغ فيل) لاعتداءات متكررة من قبل سكان القرية، وكانت الاهداف لا لمجرد اشباع تلك الحاجة وانما كانت ممارسة عدوانية باعتبارها فتاة غريبة تدخل قرية يحكمها الرجال، لهذا كانت التصويت على بقاءها لا من اجل قيمة انسانية وانما كونها جسد انثوي وهذه واحدة من اهم المفاصل التي ركزت عليها فلسفة موت الانسان على اعتبار ان الانسان جسد بالدرجة الاولى وزيد من هذا التأكيد هو تطور العلوم الخاصة بالبيولوجيا، وهو وجه آخر من اوجه الخواء الانساني الذي جسده هذا الفلم، التعامل مع الفتاة كان تعاملا جسدياً، لهذا قررت قتلهم جميعا عن طريق والدها وجماعته، والناجي الوحيد هو الكلب وهو اشارة واضحة لتفوق هذا الحيوان على سلوك الانسان المشين في هذا المجتمع المنحرف ليستحق العيش دونهم.

ولعل روجيه غارودي قد اشار الى هذا التوجه والانتكاسة الكبيرة التي تواجهها الانسانية وهو يقول "وانا انظر الى فيلم فهرنهايت 451 بدا لي ان الكلمات التي كتبها فوكو في كتابه الكلمات والاشياء تطن في اذني بأن الانسان لا يمثل اقدم المشكلات التي وضعت امام المعرفة البشرية ولا اكثرها استقراراً،الانسان اكتشاف اظهرنا التاريخ الاثري لفكرنا ببساطة على انه اكتشاف حديث وربما اظهرنا ايضا على نهايته القريبة"(غارودي، 1983،ص296) لذا فهو يؤكد "ان الانسان سيختفي كما يختفي وجه رسمناه في الرمال بين امواج البحر " (غارودي، 1983،ص296).

لقد سعت السينما مستندة الى هذا الارث الفلسفي وكواحدة من مرتكزات موت الانسان هي ضرب المقدس (الله–الدين–الوحي) وكل ما يرتبط بهذه العناوين، لذا فأن انسان هذه الافلام هو انسان متحرر من كل انماط الارتباط الروحي والعقدي، هو انسان مادي لا يرى لنفسه ارتباط باي جهة ميتافيزيقية. حاولت بعض الافلام ان تنزع سمة القداسة من الوساطة التي يدعو لها الدين،في فلم ايام غريبة strange day هناك نكران واضح للوسيط المقدس، لا يحتاج الانسان الى قدرات خاصة من اجل ان يتصل بالسماء، فبالوقت التي تقوم السلطات الامريكية بصناعة جهاز (Scuid) من اجل الحماية والمراقبة يستثمره (ليني) بأغراض تجارية حيث يربطه برأس اي شخص يريد الاتصال بالسماء.

ليس هذا فحسب بل ان الانسان بات مكتفياً بمرجعية نفسه لا يحتاج فيه الى سبيل الايمان بالقوى الغيبية وهذا ما تمثل في فلم الختم السابع حيث يجابه الانسان الموت فيبدأ بالتشكيك بالإله بقوله (يجب علينا ان نضع معبوداً لخوفنا ونطلق عليه اسم الله) وهي وجهة نظر في علم النفس ترى ان الايمان بالله قد ينبع في البداية من الخوف من المجهول، كما يذكر بلوك وهو الشخصية الرئيسة في الفلم من انه كان يبحث عن عمل واحد من شأنه ان يعطي معنى لحياته.

2.3. المبحث الثالث: افول الانسان بين التقنية والفلسفة في المنجز الفلمي

لقد شهد القرن العشرين تطور ملحوظ في العلوم والتكنولوجيا جراء تغير في مظاهر الصناعة الجديدة والاتصالات والنقل واجهزة الحاسوب وشبكات الانترنت والانسان الآلي وغيرها وهذا التطور قد ساهم كثيرا في تغير نمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومما لا شك فيها ان المجتمعات لا بد ان تتلمس هذا التغيير وتتفاعل مع هذا النمط الجديد من الحياة الذي غير الواقع وجعل انسان هذا العصر يختلف بصورة كبيرة عن انسان ما قبل التطور التكنولوجي، اذ اصبح محكوم بقواعد وقوانين مختلفة تماما فرضت عليه من قبل الايقاع الجديد للحياة والعلاقات التي نشئت ويذكر خبراء (الاتمتة) من "ان تأثيرات الثورة التكنولوجية التي نعيشها الآن سوف تكون اعمق من اي تغييرات اجتماعية عهدناها من قبل ويؤكدون من ان الاتمتة (الالية الذاتية) تمثل اعظم تغيير في تاريخ البشرية بأكملها" (الحفار، 1984،ص16). والواقع ان هذا التطور العلمي والتقني الملحوظ قد افاد الانسان في جوانب عديدة ويسر له الكثير من المصاعب التي كان يواجهها كتوفر وسائل النقل المريحة والسريعة وتحقق حياة الرفاهية بكل ابعادها وتنوع مصادر الغذاء والسكن، الا ان ذلك لا يمنع من ان مخلفات ذلك التطور قد القى بظلاله على نواح عديدة من مناحي الحياة حتى بات الانسان محاصرا من جراء ذلك التقدم الذي اصبح الانسان فيه محاكيا لوسائل عديدة من وسائل التقنية ومحكوما بها. فإذا كان انسان ما قبل التقنية يبوح بأسراره الى صديق مقرب فأن هذا الامر قد تغير مع انسان ما بعد التقنية اذ اصبح الصديق هو جهاز الحاسوب الذي يخبئ جميع الاسرار وليس هذا فحسب بل لعل مجالسة الانسان مع هذا الجهاز تفوق مجالسة اي صديق او حتى اي فرد من افراد العائلة، وما هذا التماهي الجديد بين الانسان والآلة (حاسوب–جهاز العاب–فديو...الخ) الا صورة من صور النظام الذي يضرب اسس العلاقات الاجتماعية بالصميم ويهدد بانهيار ما يسمى المجتمع والاسرة، ولهذا تحدث (الان تورين) عن هذه الظاهرة معلناً عن نهاية المجتمعات" كل الملاحظات تؤول الى نقطة واحدة

هي انهيار العالم الذي سميناه اجتماعياً وزواله وهو حكم لا يفاجئنا طالما ان ملايين الناس يعربون عن اسفهم لانقطاع الروابط الاجتماعية وانتصار فردانية مفككة" في فلم (الشبكة the net) يصور الفلم حياة احدى الشخصيات (انجيلا) وهي تفقد جميع الروابط الاجتماعية والعائلية لتعيش حياتها مع شبكات الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، ليس هذا فحسب بل ان الامر يصل الى ان الشخص بعد ان يفتقد تلك العلاقات يبدأ بالبحث عن من يعوض تلك العلاقات فيجدها عبر تلك الشبكات وما انتجته التقنية،ففي فلم (هي her) يرتبط رجل بعلاقة مع صوت فتاة تجسد من خلال تقنيات الحاسوب بعد ان انفصل من زوجته، وتتطور علاقته مع هذا الصوت وكانه مع علاقة غرامية بفتاة واقعية.

ويصور لنا فلم (العطلة) القطيعة الاجتماعية التي يعانيها الانسان المحكوم بالتقنية الفائقة حينما تعيش فتاتان في مناطق مختلفة في امريكا ويتم التعارف بينهن عن طريق شبكة الانترنت، ونتيجة للفردية وحالة الاغتراب التي يعاني منها انسان هذا المجتمع وهذين الفتاتين تطلب الواحدة من الاخرى التبادل في الاماكن اي كل واحدة تأتي لتسكن في بيت الاخرى، ويحدث هذا وتنشأ فيما بعد علاقات جديدة لكل واحدة نتيجة تغير المكان، وهي اشارة واضحة للسأم وحالة الروتين التي اجتاحت الانسان وان التقنية والرفاهية التي وصلها الانسان لا تغنيه عن حالة الانسان الفطرية وهي الحاجة الى اواصر اجتماعية كي يشعر بإنسانيته وانه جزء من حالة عامة وهي الاسرة والمجتمع والحاجة الى الهوية التي بدأ الانسان يدرك مدة خطورة ان تسلب منه وهي واحدة من اهم مشاكل العصر التي يعانيها الانسان، حالات التشظي وفقدان المعنى وتعدد الحقائق او فقدان الحقيقة، واذا كانت على مستوى الفكر والفلسفة تحال الى مبدأ التفكيك او التعدد القرائي او غيرها من المناهج والقراءات التي تعدد المعنى او لا تعطي اولوية للمعنى فأن الامر بالنسبة للجانب المادي التقني محكوم بقواعد التجربة والحس، في فلم ماتريكس يسال (نيو) ما هو الحقيقي ؟ يجيبه (اورفيوس) الحقيقي هي اشارات كهربائية يفسرها الدماغ، فلم تعد للحقيقة او لمفاهيم كثيرة قيمة الا من خلال اخضاعها لقيم المنطق والعقل، وبذلك استطاعت التقنية ان تحقق (انفصام عالمي) او شيزوفرنيا عالمية للمجتمعات كون ان التقنية شاعت وتجذرت مع واقع ثقافي فكري حاول ان يتنكر ولو قليلا لقيم العقل وبدأ برسم ملامح جديدة لحياة فكرية تتسم بالاستلاب ونبذ القيم والمنطق، وهذا ما يوائم جزء منه مع التقنية ويتعاكس في جزء منها. الانسان اراد ان يتحرر قليلا من حكم العقلانية وجد نفسه ضمن مصفوفة هكذا تكلم مورفيوس في ماتريكس (المصفوفة في كل مكان وحتى في الغرفة وفي الكنيسة وعندما تذهب الى عملك،انه العالم الذي يغطي عينيك ليعميك عن الحقيقة وحينما يسأله نيو: عن اي حقيقة يتكلم يجيبه مورفيوس: حقيقة انك عبد كباقي الجميع،انك ولدت في عالم عبودية ولدت في سجن بحيث لا يمكنك ان ترى او تشعر او تشم).

لقد تنبأ شارلي شابلن بشكل ملفت للنظر للدور الخطير الذي ستشكله دخول التقنية الى مرافق الحياة المختلفة وتقلبات الانظمة الحاكمة من انظمة دينية ثم سياسية الى اقتصادية الى (نظام عالمي جديد تحكمه ثورة الاعلام والاتصالات والمكننة الحديثة) عبر افلامه وبالخصوص فلمه (الازمنة الحديثة) الذي كان يرى فيه استلاب انسانية العامل من اجل الآلة التي تسري في مصلحة الاغنياء، وقد كان هذا الفلم علامة بارزة في تاريخ السينما العالمية اذ يعد استشرافاً مستقبلياً لما سيكون عليه العالم في ظل التقنية وتطور الآلة ومصير الانسان، وما سيعانيه من موت بطيء بسبب البطالة والكساد والذي اجتاح مناطق عديدة من العالم وخصوصاً الدول الصناعية منها.وبطريقة ساخرة يقدم شارلي الانسان وقد اصبح

مبرمجا، كيف يتحرك ويمارس اعماله ثم كيف يأكل عن طريق جهاز اعد لهذا الغرض وكيف يمكن للإنسان اذا ما توافقت حركته وسرعته مع حركة وسرعة الآلة وكيف يكون مصيره اذا ما سيطرت عليه بعد ان كان مسيطر عليها، هكذا يصبح شارلي مشردا حاله حال الكثير من العمال بعد ان فقد عمله، ان هذا الانسان الذي بدأ التطور التقني والدعوة الى العقلنة والفردية والتي يفترض ان تزيد من رفاهية بدأت تعجل في اغترابه ونهايته" لقد تم التعبير في الصحافة الاجنبية عن الرأي بأن شابلن بالذات في الازمنة الحديثة هو الاول في الازمنة الغربية الذي كشف بقوة غير عادية موضوع اغتراب الانسان الاجتماعي والعاطفي في المجتمع البرجوازي..... لقد جسد بطل التشابينيات في داخله الانسانية البائسة والمتألمة"(بلا،2009،ص12)، هذا ما جعل الحكومة الامريكية ان تأخذ منه موقفاً معاديا واتهامه بالميل الى الماركسية وادراجه ضمن القائمة السوداء (قائمة مكارثي) وطرده فيما بعد من الولايات الامريكية عام 1952. وفي فيلم (اوديسا الفضاء) لستانلي كوبريك تنبأ مستقبلي وتحذير مبكر للصراع الذي يمكن ان يحدث بين الانسان والآلة وكيف يمكن ان تسيطر فيه الاخير على الحياة المتمثلة بصوت الكومبيوتر(hal9000) الذي يسيطر سيطرة كبيرة على سفينة الفضاء وعلى طاقمها، فعلى صعيد تطور الدراسات البيولوجية الانسانية وعلاقتها بالثقافة والقيم والاخلاق والسلوك والعلاقات يصور لنا فلم (انا اسطورة) مخاطر التلاعب بالجينات الانسانية من اجل تفادي بعض الامراض كيف تحول البشر الى مخلوقات اشبه بالوحوش مما ينذر من كارثة تعم البشرية وكيف يمكن ان تؤثر تلك الابحاث اذا اريد منها التأثير على الانسان في كارثة تفوق كارثة حرب نووية. وفي فيلم(الشر المقيم Resident Evil) اخراج الكسندر ويت تتعرض البشرية الى خطر حقيقي عندما تقوم مجموعة من العلماء ببعض الاختبارات على الانسان من خلال تصنيع فيروس متطور ليخرج هذا الفيروس عن السيطرة ويحول الانسان الى حيوان كاسر.

اما على مستوى الدراسات السبرانية وانظمة الاتصال فقد وصل الحال بالفلم ان يقدم الانسان المسيطر علية بأنظمة استشعارية، في فلم ماتريكس يدخل الانسان في العالم الافتراضي ويبرمج العقل والمشاعر ويصبح الانسان حاله حال اي جهاز يمكن التحكم فيه عن بعد يتلقى التعليمات والاوامر وينفذها، يشير ارفيوس الى البطارية ويخبره بان المصفوفة هي التحكم لتغيير الانسان. وهذه الاشارات هي متطابقة على مستوى عالي مع ما يقدمه العلم، كما انه يتماهى ما يطرح من بعض الافكار النظرية التي تحاول ان ترقي الانسان لا على اساس اخلاقي سلوكي وانما على اساس مكننته، اي اخضاع الانسان الى جملة من التمارين وتعليمه مجموعة من القواعد الهدف هو محو الشخصية الانسانية وجعل الانسان في خدمة المؤسسة التي تديره بلا اعتراض او مناقشه وهذا ما تسعى اليه السانتيولوجيا، فتصبح كل افعال الانسان خاضعة لنظام خاص محوسب حتى الضحك والمشي والبكاء، وبالتالي يكون الانسان الاجتماعي انسان خاضع لمقاييس هندسية برمجية لذا يجد بعض المفكرين ان انسان اليوم يتحدث عن مفاهيم تكاد ان تكون واضحة كالعدالة والحق والخير الا ان مصاديقها اصبحت عائمة واكثر ضبابية، انسان اليوم انسان مبرمج اكثر منه انسانا متأملاً.

النتائج:

1-فلسفة موت الانسان تعنى بنزع صفة الانسانية عن الانسان وهذا ما حاولت السينما تمثله عبر منجزها الفلمي

2-قدمت السينما فلسفة موت الانسان من جوانب عديدة مستندة على اراء وافكار فلسفية مختلفة وكانت موضوعات الغريزة وضرب المقدس وتفوق التقنية على الانسان هي الابرز.

3-استثمر صناع المنجز الفلمي كافة الوسائل التقنية والتعبيرية من اجل ايصال فكرة موت الانسان.

4-عبر الفلم السينمائي عن دخول الجانب التقني في حياة الانسان على انه نوع من انواع افول الانسان وتحوله من مستوى الى مستوى آخر.

5- تحاول بعض المؤسسات التي تسيطر على الانتاج الفلمي العالمي ان تبث متبنياتها الفكرية والدينية والسياسية عبر المنجز الفلمي، وموت الانسان احدى تلك المتبنيات التي تجعل من التشاؤم واليأس جو العصر السائد.

الاستنتاجات:

1-ان السينما تستند في موضوعاتها الفلسفية على ارث فكري وفلسفي واسع قادرة على تمثيله بما تمتلكه من لغة سينمائية وعناصر متنوعة.

2-ان السينما هي الفن الاكثر قدرة في تمثيل فلسفة موت الانسان لمرونة ادواته التمثيلية والتجسيدية.

3-ان للتقنية الرقمية دور مهم في تمثيل فلسفة موت الانسان عبر مستويات صورية متعددة.

4-يعد الانسان متمثلا بالشخصية الفلمية المرتكز الاساس في فلسفة موت الانسان في المنجز الفلمي

Abstract

Representations of the philosophy of human death in world cinema

By MOHAMMED ABDUL HAMEED DHAIDAN

And ABAS ALI AJEEL

One of the most important features of film art is the ability to deal with different topics in the ability to deal with different subjects in areas of knowledge, social and philosophical because of the various elements and tools on the one hand and the big flexibility through which these elements can invested in order to deliver the idea to the to the recipient, and one of the topics that takes a big place in the film production of those films that present philosophical ideas, especially that deals with human and philosophies which tried to study it deeply and to put the idea of death in its levels material and moral, this research present light on the philosophies of human death with the moral dimension that grew Clearly in the middle of the twentieth century based on the philosophical and mental that invested by cinema to present in different forms and visions. The search is divided into three chapters, the first chapter dealt with the methodological framework, The second section (the manifestations) dealt three topics, The third chapter dealt with the results، conclusions، recommendations and finally a list of sources adopted by the two researchers.

Keywords: ecology, representations, Digital technology

المصادر:

-القران الكريم
-الافلام التي تم تناولها في البحث:
1. فلم (أنا أسطورة) إخراج فرانسيس لورانس انتاج 2007
2. فلم (سالو)،إخراج: بيير باولو بازوليني، أنتاج 1975.
3. فلم (الازمنة الحديثة)اخراج وتمثيل شارلي شابلن،انتاج 1936.
4. فلم (الختم السابع) إخراج وسيناريو إنغمار برغمان،انتاج 1957.
5. فلم (الشبكة the net) اخراج سيدني لوميت،انتاج 1976.
6. فلم (العطلة) اخراج نانسي ميرز، انتاج 2006.
7. فلم (اوديسا الفضاء) اخراج ستانلي كوبريك، إنتاج 1968.
8. فلم (دوغ فيل) إخراج لارس فون ترابير انتاج 2003.
9. فلم (عار) إخراج وكتابة ستيف ماكوين آبي مورغان ،انتاج 2011.
10. فلم (فهرنهايت 451) اخراج رامين باهران،انتاج 2018.

11. فلم (كلب اندلسي) اخراج بونويل وسلفادور دالي انتاج 1929.
12. فلم (ماتركس من تأليف وإخراج الأختين وتشاوسكي) لانا وليلي، انتاج 1999.
13. فلم(الشر المقيم Resident Evil) اخراج الكسندر ويت، انتاج 1997.
14. فلم(هيher) تأليف وإخراج سبايك جونز، انتاج 2013 .

المراجع:

1. أ. فوغل، السينما التدميرية، ت: امين صالح،دار الكنوز الادبية، مطبعة دار الكنوز الاهلية،بيروت،1995.
2. إ.ف بلاييبيرغا، المعجم الفلسفي المختصر، ت: توفيق سلوم، موسكو، دار التقدم، 1986.
3. افلام شابلن سيناريوهات وكتابات للأفلام، ت: يونس كامل ديب، المؤسسة العامة للسينما،دمشق،2009.
4. باري كيث جرانت،موسوعة شيرمر،الجزء الثالث، المركز القومي للترجمة القاهرة 2014ص961.
5. بيزلي ليفينجستون، كارل بلاتينيا، دليل روتليدج للسينما والفلسفة،ت: احمد يوسف،المركز القومي للترجمة،القاهرة،2013.
6. جان ميتري، السينما التجريبية،ت:احمد فؤاد، المؤسسة العامة للسينما،سوريا،1997.
7. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، منشورات ذوي القربى، ايران، 2010.
8. جيل ليبوفيتسكي،جان سيرو،شاشة العالم ثقافة–وسائل اعلام وسينما في عصر الحداثة الفائقة، ت: راوية صادق،المركز القومي للترجمة، القاهرة،2012.
9. روجيه غارودي،نظرات حول الانسان،ت: يحيى هويدي،القاهرة،1983.
10. سعيد بن ناصر الغامدي، الانحراف العقدي في ادب الحداثة وفكرها،دار الاندلس الخضراء، السعودية، 2003.
11. سعيد محمد الحفار،البيولوجيا ومصير الانسان، عالم المعرفة، العدد 38، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1984.
12. عبد الرزاق الدواي، موت الانسان في الخطاب المعاصر، دار الطليعة،بيروت،1992.
13. ماري–تيريز جورنو، معجم المصطلحات السينمائية، ت: فائز بشور، المؤسسة العامة للسينما، دمشق، 2007.
14. مصطفى النشار، تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي، دار قباء، القاهرة، 1988.
15. نائل حنون، عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة ، الطبعة الثانية دار الشؤون العامة ، وزارة الأعلام ، أفاق عربية، 1986.
16. هنري آجيل،علم جمال السينما، ت:ابراهيم العريس،المؤسسة العامة للسينما،سوريا،2005.
17. وول ديورانت، قصة الحضارة،ج2،مجلد 1، ت: محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع،بيروت،1981.
18- Maurice Nadeau،The History of Surrealism،New York,Macmillan,1965.